THE TRINITY INSTITUTE FOR CHRISTIANITY & CULTURE T.I.C.C.

"CHRISTIANITY & CULTURE : MEETING THE CHALLENGE OF DIVERSITY"

FIRST TICC INTERNATIONAL CONSULTANTS CONFERENCE

LONDON - ENGLAND

SEPTEMBER 20TH – 24TH 2004

النظرة المسيحيّة للوحدة في مجتمع متعدّد الثقافات

مساهمة القديس مكسيموس المعترف

المطران د. بولس يازجي

متروبوليت حلب والاسكندرون وتوابعهما للروم الأرثوذكس

P.B. 6976 ALEPPO – SYRIE -TEL: + 963 21 4660670 - FAX: + 963 21 4660671

-WEBSITE: WWW.ALEPPORTHODOX.ORG E-MAIL: SECRETARY@ALEPPORTHODOX.ORG

LONDON – ENGLAND

2004

النظرة المسيحيّة للوحدة في مجتمع متعدّد الثقافات[1]

مساهمة القديس مكسيموس المعترف

مقدّمة

شهدتِ السنواتُ الأخيرة ومع بدايات الألفيّة الثالثة انشغالَ الفكر اللاهوتيّ بموضوع "العولمة"، وتباينت الآراء بين معترِض وحذِرٍ أو موافق! والحقيقة، إنّه لواجبٌ على الفكر اللاهوتيّ، لكي يكون لاهوتيّاً، أن يجيب على اللحظة المعيّنة من الزمن بإجابة تمثّل الإرادة الإلهيّة، فيقدّمها للعالم ليحافظ بـــها عليه. ودراسة هذا الموضوع هي مسألة عصرية ضرورية.

ليست العولمة هي المسألة بالعمق، ولكن مسحَنَة العالم ووحدته هي مسألتنا المسيحيّة، حيث العولمة هنا يمكنها أن تكون الأداة أو نتركها فتصير العائق.

رؤيتنا لمسحنة العالم تنطلق من وحدته، ولكن بالربّ. وهذا ليس وقفاً على دِين دون آخر ولا على حضارة دون أخرى. لا بدّ لنا من إيضاح مفاهيمنا المسيحيّة حول الإنسان ووحدته مع ذاته ومع العالم ومع الله، وعلينا إخراجها من لغتها الدِّينية الحصريّة والموجّهة لفئة محدّدة، لأنّها وديعة في تراثنا المسيحيّ يستحقّها كلّ إنسان. هناك إذاً الحقيقة وهناك التعبير عنها. فالحقيقة هي كونيّة ومسكونيّة، أمّا التعبير عنها فينتمي إلى الحضارات والأديان. تلك واحدة وهذه متنوعة.

لذلك إنّ أكبر إساءة إلى حقائقنا المسيحيّة هي أن نأسرها في لغتنا الدِّينية التي لا يفهمها سوانا، أو حتّى ليس جميعُنا بل بعضٌ من المختصّين بيننا. إنّ كلماتٍ مثل: "الخلاص، الفداء والتألّه"، هي كلمات تخصّ كلاًّ من الله والإنسان والكون، لذلك فهي تخصّ كلّ إنسان وليس ديناً من الأديان فقط. وهنا، برأينا، تشكّل رؤيتنا المسيحيّة لهذه الأمور، وبتعابيرها المختلفة، الرؤيا الأدق والأعمق.

لهذا تمّ اختيارنا للقدّيس مكسيموس المعترف الذي يتكلّم عن لاهوت الكنيسة والإنسان ليس من نظرة "دينيّة" – إن صحّ التعبير – ولكن من خلال العلاقة بين الله والإنسان والعالم. إنّ تحقيق هذه العلاقة المطلوبة بين الله والإنسان له ساحة هي العالم، وله أداة أو طريقة هي الكنيسة. قد نحتاج مرّاتٍ عديدة أن نشرح معنى الكنيسة هذا في تقليدنا الصافي، بعد أن قزّمته النظريّات الدِّينية وجعلته مجرد نظام (System) أو مؤسسة أو مدرسة أو بشارة أو عقيدة. الكنيسة في تقليدنا الأرثوذكسيّ تتحقّق في "الليتورجيا" أي "عمل الشعب"، عمل الإنسان، وهذا العمل هو الليتورجيا، التي لا تنحصر أبداً بالصلوات أو بالطقوس. وعمل الكنيسة في

---

[1] ترجمة عن المقالة:
The Christian Vision of Unity In a Multicultural World - Exegesis of Saint Maximus the Confessor - The Trinity Institute for Christianity & Culture TICC "Christianity & Culture : Meeting the Challenge of Diversity" First TICC. International Consultants Conference London – England September 20th – 24th 2004.

العالم هو أن تصير عالم العالم، أو أن يصير العالمُ كنيسةً، أي أن يأتي ملكوت الله ويصير "الله الكلّ للكلّ"، عندها يتّحد الكلّ فيه وبه.

إنّ يسوع المسيح ليس شخصاً يخصّ المسيحيين فقط، وإن كانوا هم أكثر مَن يتكلّم عنه. وإنّ تقليدنا الشريف والعريق ليس إرثاً لنا، وإنْ كان محفوظاً في كنيستنا. إنّ المسيحيّة رسالة كونيّة بين الله والإنسان، نحن مجرّد خدّامٍ فيها ورسلٍ لها نتمّم عمل يسوع في الكنيسة التي أسّسها. لم يرَ قدّيسونا أنفسهم أبناء أمة أو طائفة أو قوميّة أو دِين الخ... بل "أبناء الله"؛ ولم يتكلّموا عن ديانةٍ بل عن "حياة"؛ لهذا فإنّ تعليمهم ليس لفئةٍ معينة بل للإنسان، قد تكون لغتهم من لون ما لكن هدفهم هو "حياة الإنسان"، التي جاء يسوع ليعطيها. وهذا ما سنجده فيما يلي عند القديس مكسيموس المعترف في رؤيته لوحدة الإنسانيّة مع ذاتها والعالم والله.

القديس مكسيموس أبٌ شرقيّ من القرن السابع، وهو كتابيّ له مؤلّفات عديدة في تفسير آيات الكتاب المقدّس، وعقائديّ، أي اهتمّ بتحديد التعبير الأدقّ لتفسير الإيمان، وبالعكس لم يقبل بأيّ تعبير يسيء للحياة. إنّه ميستيكيّ يقرأ الكتاب والتقليد بالعمق "بالحقّ والرّوح". بذلك يصير بالفعل "مسكونيّاً"، أي يمسّ بتعاليمه الإنسان وليس فئة من الأديان، ويتحرّر بعمقه هذا من حدود اللغات والحضارات وقيودها الأدبيّة والتاريخيّة. إنّه يمسّ الخبرة الإنسانيّة الإلهيّة، التي يمكنها أن تكون مشتركة عند كلّ مَن هو "على صورة الله ومثاله".

إنّنا نؤمن أنّ اللاهوت ليس مسألةً فلسفيّة، وكذلك العقائد! بل بالأحرى اللاهوت هو علم ربط الإنسان بالله، ولذلك هو فنّ الفنون وعلم العلوم. وهكذا نؤمن أنّ تقدمة رؤية القديس مكسيموس "للوحدة الكونيّة"، بين الإنسان وذاته والعالم والله، ستقدّم نصيحة هامّة لمستقبل الإنسانيّة جمعاء ولتوجيه عمل الكنيسة في العالم وضمان صدق رسالتها، الرسالة التي نُسيء أحياناً إليها فنؤخّرها أو نفسدها، بسبب من معرفتنا المحدودة عن سرّها.

سنبدأ مداخلتنا هذه بتوضيحٍ صغير عن القديس ولاهوته، بمقدار ما يتعلّق به موضوعنا بشكلٍ خاص، ثم سنستخدم من كتاباته أهمّ المقاطع التي تخدم موضوعنا، وسنجدها في كتابه "مستاغوجيا"، الفصول ٢٣ و٢٤ وفي مقالته "في أسئلة مختلفة" [PG 91, 1305-1308].

هل التعدديّة تمنع الوحدة؟ أم الوحدة لا تقبل التعدديّة، بل تصهر كلّ شيء بالآخر؟ وهل الحقيقة الإنسانيّة العميقة، وتلك العلاقة للإنسان مع ذاته والعالم أمام الله، هي ممكنة لكلّ إنسان وبطرق عديدة ومتنوعة تقبل تنوّع الحضارات دون أن تخسر حقيقة الرّوح؟ وأخيراً إذا كان لا بدّ من انفتاح الكنيسة على التعدديّة فكيف نحافظ على "الملح" الذي فيها من خطر علمنتها؟ كلّها أسئلة تجيب عليها بطريقة أو أخرى خمسةُ مشاريعَ إنسانيّةٍ في الوحدة للقدّيس مكسيموس المعترف.

I. الكاتب ولاهوته

لمع نجم مكسيموس من خلال مساهمته الأساسيّة في التصدّي لبدعة المشيئة الواحدة (Monotheletism)، وهذا ما جعله يُعتبر لاهوتيّ القرن السابع.

ينحدر القديس من عائلةٍ شريفة من القسطنطينيّة (ولادته ٥٨٠ م)، تعلّم الفلسفة والعلوم الدِّينية فيها، وشغل منصب مستشار للإمبراطور هيرقل (٦١٠-٦٤١م) لكن لسنوات قليلة ليتّجه بعدها نحو الحياة الرهبانيّة في أحد أديار فلسطين أو ربّما حول القسطنطينيّة.

وبعد تنقّلاتٍ عديدة بين كيزيكس وأفريقيا ومواجهته لبدعة المشيئة الواحدة من هناك انتقل إلى روما أيضاً وذلك بسبب الظروف والاضطهادات الخارجيّة. ثم نُفي من الإمبراطور كوستا (الذي أصدر الدستور τύπος سنة ٦٤٧م) إلى بريفيزا (٦٥٦م) وانتهى الأمر بقطع يده اليمنى ولسانه ونفي من جديد إلى لازوف في القوقاز حيث توفي في التعذيبات سنة ٦٦٢. نعيّد له في ١٣ آب و٢١ كانون الثاني.

مؤلّفاته عديدة ونجدها في جزئَين [PG 90 & 91] من الباترولوجيا اليونانية وهي في تفسير الكتاب، وتفسير بعض الآباء، وعقائديّة، ونسكيّة ميستيكيّة، وليتورجيّة، وله رسائل عديدة.

التعليم اللاهوتي للقدّيس مكسيموس عن الله والإنسان والعالم يتلخّص في صورة الكنيسة لديه. فالكنيسة هي "صورة الله" لأنّها تقوم بعمله ذاته، وبواسطتها يعمل الله. إنّ الله يشدّ كلّ الخليقة إليه، والكنيسة هي الرباط الذي يحقق ذلك[٢].

الكنيسة هي الصورة الروحية للعالم وللإنسان وللنفس. إنّها أشبه ببناءٍ منظّم، بطريقةٍ قادرة على احتواء كلّ هذه العناصر فيها كأجزاء منها. إنّ الغاية النهائيّة للعالم والإنسان هي أن يصير الإنسان والعالم كنيسة. وتشكّل الليتورجيا - والقدّاس الإلهيّ خاصةً - الشكل الأمثل لهذه العمليّة الكونيّة ولو في رموز طقسيّة، حيث يتم دفع الإنسان مع العالم ككنيسة للارتفاع إلى الله. في الكنيسة صورة العالم كلّه، المنظور وغير المنظور (المحسوس: Visible/Ορατά وغير المحسوس: Invisible/Αόρατα)، وفيها صورة للعالم الحسيّ أيضاً أي ذلك الأرضيّ والفردوسيّ، والبشريّ والملائكيّ، وفيها الإنسان بتعدّديته ذكراً وأنثى[٣].

تضمّ الكنيسة الناس بتنوّع ثقافاتهم وتنوّع بلادهم، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، ودونما تمييز من أعمالهم أو مهنهم، يكفي أن يمتلكوا إيماناً. ولكن الإيمان الحقيقيّ والكامل الذي يقود إلى الوحدة والاتّحاد

---

٢ مكسيموس المعترف، [*Μυσταγωγία*, *PG* 91, 657-660].

٣ مكسيموس المعترف، [*Μυσταγωγία*, *PG* 91, 668-673].

بالله لا يكفي بالدرجة السطحيّة الشائعة لدى الناس وعامتهم، إنّ الوصول إلى سموّ هذه الخبرات والحقائق بين الله والإنسان يتطلّب إيماناً أعمق[٤].

الإنسان، لدى القديس مكسيموس هو كائن ميّال بطبيعته إلى الصلاح. أمّا ما نراه من ميولٍ نحو الشرّ فهو نتيجةُ حالةٍ راهنة غير طبيعيّة. لذلك فإنّ أوّل الدوافع البشريّة العميقة هو العودة إلى الحالة الطبيعيّة (κατά φύσιν) والتحرّر من الحالة الراهنة:
(παράσιτον παρά φύσιν κατάσταση)[٥].

لا بل إنّ ما يجري في الكنيسة (عمل الله والإنسان في الكون) هو رفع الإنسان إلى حالة ما فوق الطبيعة (υπέρ φύσιν) والمقصود هنا بناء "الإنسان الروحاني" الأشبه بـــ "υπέρ άνθρωπον άνθρωπος"[٦] وهذا يقتضي من الإنسان ألاّ ينشغل بالأمور الدنيا من الكون وإنما بحقيقته، أي أن يتعامل معه "لاهوتيّاً" كعلاقة مع الله تجعله يتعاطى مع الكون بمسؤوليّة الراعي. هكذا فإنّ الإنسان مدعوٌّ ليصير بالنعمة ما هو الله بالطبيعة، فتنتقل حياته من حياة بحسب اللحم والدم (البشرة) إلى حياة بالرّوح[٧].

وبالتالي إنّ هذه الصورة المطلوبة للإنسان الرّوحاني تصيّره على صورة المسيح، فكما أنّ الله من محبّته خرج نحو الإنسان حتّى أنّه اتّحد بجسده فتجسّد، هكذا الإنسان، جواباً على هذا الحبّ، يندفع نحو الله حتّى بالنهاية "يتألّه"[٨]. كلّ هذه الحركة هي "الليتورجيا" الحقيقيّة، وهذا هو عمل الكنيسة والذي يجب أن يصير لكلّ الناس. الأمر الذي يجب أن يتمّ بحركة روحيّة ومسيرة باتّجاه الله. تشكّل الكنيسةُ كحياة وتعاليم ووجود، المكانَ الحقيقيّ والطريقة المثلى لتحقيق الاتّحاد بالله. فالكنيسة للقدّيس مكسيموس إذاً ليست المنظّمة ولا الهيئة ولا أيّ شيء آخر سوى شركة الله بالإنسان لتحقيق هذا الاتّحاد، ورفع التراب ليصير إلهاً بالنعمة.

ما يحول دون تحقيق ذلك هو الخطيئة. منذ سقوط آدم والإنسان يحمل صورة الله، ولكن حركة سعيه إلى الله (على مثاله) تتوقّف أو تتباطأ أو تتعطّل حيناً. ويسود الانفصام في البشريّة وفي الكون. الانفصام في كلّ شيء، في الإنسان داخليّاً، مع الله، مع القريب، مع الملائكة ومع الكون. ومن هنا فإنّ هذه الحركة للوصول إلى الاتّحاد بالله تبدأ من جمع المتفرّقات. أو بكلمة أخرى إنّ درجات الصعود حين تتمّ تحقّق اتّحاد هذه العرى المنفصمة.

---

٤ مكسيموس المعترف، [*Μυσταγωγία*, *PG* 91, 665].

٥ مكسيموس المعترف، [*Προς Θαλάσσιον*, *PG* 90, 324].

٦ مكسيموس المعترف، [*Περί Διαφόρων αποριών, PG* 91, 1125].

٧ مكسيموس المعترف، [*Αποκρίσεις*, 73, *PG* 90, 845].

٨ مكسيموس المعترف، [*Περί Διαφόρων αποριών*, *PG* 91, 1125].

II . مشروع الوحدة الكونيّ – الاتّحادات الخمسة

يرى القديس مكسيموس أنّ هناك خمسة مشاريع أو أهداف على هذه الطريق، وهي:

١. وحدة غير المخلوق بالمخلوق: [κτιστό-άκτιστο]، (بين الله والإنسان).

٢. وحدة العالم الروحي بالماديّ: [αισθητά-νοητά]، (في مستوى الخليقة).

٣. وحدة السماء بالأرض: [γη-ουρανός]، (في مستوى المحسوس).

٤. وحدة الفردوس بالمسكونة: [οικουμένη-παράδεισος]، (مع مستوى الأرض).

٥. وحدة الرّجل والمرأة : [θήλυν-άρσεν]، (على مستوى الإنسان).

هكذا ينظر القديس مكسيموس إلى العالم من أصوله الأولى، أي يراه كخليقة الله ذات الأصل المشترك، ولها أيضاً (كلّ الخليقة بما فيها الإنسان) غايةٌ مشتركة. لقد جاء عمل الخلق متنوّعاً، فهناك كلّ هذه العوالم الماديّة والروحية المنظورة وغير المنظورة، لكنّ الله خلقها كلّها بتنوّعها لكي تصير إلى وحدة وتشكّل عالماً واحداً دون أن تلغي تنوّعها.

١. منذ لحظة الخلق ظهر تنوّع في العوالم، فهناك الله اللامخلوق (άκτιστο) الذي أوجد من العدم المخلوقات (κτιστά). ولقد شاء هو تنوّعها، وإلاّ لكان قد خلقها نوعاً واحداً. (فهي لم تكن موجودة بتنوّعها قبلاً، لذلك فإنّ تنوّعها هذا جاء بإرادة الله الذي خلقها هكذا و لم يكن ذلك مفروضاً على الخالق).

٢. ثم أوجد في الخليقة العوالم المنظورة وغير المنظورة (المحسوسة –αισθητά وغير المحسوسة – νοητά).

٣. وفي العوالم الحسيّة المنظورة خلق السماء (ουρανός) وخلق الأرض (γη).

٤. في أرضنا هناك المسكونة (οικουμένη) وهناك الفردوس (παράδεισος).

٥. وعندما خلق الإنسان جاء به ذكراً (άρσεν) وأنثى (θήλυν).

لقد خلق اللهُ الإنسانَ في ختام عمل الخلق في هذا العالم المتنوّع، لكي يوحّد الإنسانُ العالمَ في شخصه الإنسانيّ، لأنّه بإمكانيّاته الروحية يستطيع أن يجمع داخله كلّ هذه العوالم في اتّحادٍ واحدٍ وهَرمونيّةٍ وتوافق. لكن الخطيئة وحدها أظهرت الإنسان عاجزاً عن ذلك، لا بل استخدم الإنسانُ ككائن حرّ طاقاته هذه، التي أُعطيتْ له ليوحّد المتنوّعات، استخدمها بشكل سيّء فزادت خطيئتُه الانفصامات، وبلغ الأمر حتّى حدود الصراع بين هذه المتنوّعات.

إنّ طبيعة الإنسان بإمكانيّاتها الروحية قادرةٌ أن تجمع طرفَي كلّ طبيعة، وهذه هي الغاية الإلهيّة لخلق العالم والإنسان. ولكن ما فشل به آدم الأول والبشر حقّقه بنجاح يسوع المسيح، ليس كحدث انتهى ولكن كطريق يحقّق على مثاله كلّ إنسان هذه الوحدة بمقدار.

إنّ تحقيق هذه المشاريع الخمسة للوحدة يسير بتسلسلٍ معاكسٍ لتسلسل ظهورها بدايةً في الخلق. فالتمايز الأوّل زمنيّاً كان بين المخلوق وغير المخلوق، وهناك تتمّ المرحلة الأخيرة للوحدة. تبدأ الوحدة بخلق الهَرمونيّة بين المتمايزات الأبسط (الذكر والأنثى) حتّى تصل إلى الاتّحاد بين المتمايزات الكبرى، وهي تلك التي بين الله والإنسان[9].

إنّ دور الإنسان في عمل الخلق هو ضمّ المتنوّعات في وحدة، وهذه هي غاية المواهب التي أُعطيت له. ولكن ذلك يتمّ حصراً عبر الله، أي حين يرفعها كلّها إلى الله فتلتقي عند الله فيه ومعه[10]. لقد خُلق الإنسان من الله لتدور حياته حول خالقها، وخَلَق الله العالمَ للإنسان موضوعاً لعمل حياته. لكنّ الأخير، وللأسف، تحرّك بشكلٍ لا طبيعيّ وبجهلٍ[11]، وصار يُمحور حياته حول العالم الذي أُعطي له. وهكذا بدأ يفقد مصدر حياته، حتّى جاء الله ودخل حياة البشر بتجسّد المسيح وأنقذ الجبلة البشريّة. فعندما تتمحور حياة الإنسان حول العالم الذي أمامه لا يستطيع أن يرفع هذا العالم إلى الخالق الذي وهبه، ولا يستطيع الإنسانُ بالتالي لحم الفوارق الناتجة عن تنوّعه.

أي أنّ هذه الوحدة لن تتمّ بين العوالم المتمايزة من حيث طبيعتها، ولكن مواهب الإنسان الروحانية تؤهّله لتجاوز الفواصل التي بينها لتصير بحياته الروحية ممكنة التلاقي.

١. اتّحاد الرّجل والمرأة

يبدأ دور الإنسان هذا، وهذه غاية خلقه في الكون، من تجاوز الفوارق على صعيده الإنسانيّ، أي أوّلاً باتّحاد الرّجل والمرأة. ويستشهد القديس مكسيموس بقول بولس الرسول "ليس يهوديٌّ ولا يونانيّ، ليس عبدٌ ولا حرٌّ، ليس ذكرٌ ولا أنثى، لأنّكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع"[12]. وهذه الوحدة لا تتوقّف عند الاتّحاد بين الرّجل والمرأة، اللذين جاء التنوّع بينهما من الخلق ذاته (تنوّع وفارق طبيعيّ)، ولكن يشمل أيضاً اتّحاد البشر ورفع الفواصل التي أدخلتها وأضافتها فيما بعد خطايا البشر، مثل الفروقات العرقيّة (يهوديّ أو يونانيّ) والطبقيّة (عبدٌ أو حرٌّ).

---

[9] "εναρμονίως από των προσευχών επί τα πόρρων, και των ηττονών επί τα κρείττονα".
[10] "ίνα της προς Θεόν, ως αίτιον, τα πάντα συναγούσης ενώσεως…".
[11] "παρά φύσιν εκών ανοήτως κεκίνηται".

[12] غلا ٣، ٢٨.

يتّضح في التفاسير الآبائيّة للكتاب، وخاصة من رواية الخلق، أنّ الفوارق الطبيعيّة (الأنوثة والذكورة) كانت في المخطّط الإلهيّ للإنجاب وبناء الشراكة الإنسانيّة. لكنّ الخطيئة، بعد السقوط، جعلت آدم يتّهم امرأته ويشعر أنها طرفٌ آخر: "المرأة التي أنت أعطيتَني إيّاها هي أعطتني من الثمر..."[١٣]. إنّ تخلخل الهَرمونيّة الفردوسيّة بسبب الخطيئة فرض على النظام الطبيعيّ نواميسَ جديدة كالخضوع (طاعة المرأة للرجل). لذلك فإنّ العودة لا تخصّ الجنس بقدر ما تخصّ الفضيلة. حين تُرفع الخطيئة عندها يغيب "الانفصام" وتغيب أيضاً الفوارق من حيث الكرامة. عندما بالفضيلة سيتساوى الطرفان عندها يتّحدان.

إنّ اتّحاد الرّجل والمرأة لا يلغي الفوارق الطبيعيّة التي بينهما بل يجعلها تعمل في هَرمونيّة وتكامل، بحيث يلتقيان روحيّاً ككائنَين متساويين في الكرامة والعمل والمسؤوليّة أمام الله، ولن يتمّ هذا اللقاء وهذه الوحدة في القيمة والغاية إلاّ أمام الله. على العكس أمام العالم، تنقلب هذه المواهب الطبيعيّة المتنوعة إلى فوارق تقود لتفوّق جنس على الآخر أو حتّى لصراع بين الجنسَين. فبواسطة حياة الفضيلة يتم تجاوز هذه الفواصل بين الجنسَين. وهذا ما يتكلّم عنه التقليد الآبائيّ ويسمّيه رجولةً روحيّة (ανδρεία)، كصورة للإنسان الرّوحاني القويّ، بغضّ النظر عن جنسه أنثى أم ذكر. وهذه الصفة الروحية هي صفة فضيلة وصفة أخلاقيّة من المطلوب أن توجد في الجنسَين اللذين يلتقيان بالكرامة حين تتساوى بينهما هذه الفضيلة "الرجولة". فإنّ هذا الأمر المشترك بين الجنسَين، حين يُعطى الأهمّيّة الأولى في الحياة، يجعل الجنسَين يعيشان معاً فوق هذه الفوارق الطبيعيّة، التي وُجدت بالأصل لخدمة الحياة المشتركة والوحدة، في حال كانت حركتها الروحية صحيحة.

إنّ تساوي الرّجل والمرأة واتّحادهما، سواء كان على مستوى الزواج والحياة العائلية، أو على مستوى الحياة الاجتماعيّة عموماً بين أي رجل وامرأة، هي مسألة عذّبت البشريّة وما زالت تعذّب مجتمعات عديدة. إنّ الفوارق بين المرأة والرّجل في العائلة والمجتمع، من ناحية الكرامة، هي صورة العالم الذي يريد الله، بتدبيره مع الإنسان، أن يــزيلها. ومن غايات الحياة هي اتّحاد المرأة والرّجل في "الرجولة" الروحية. إنّ حركات التحرّر النسائيّة (Feminism) في العالم أخذت صوراً حادّة، وإن كانت من منطلقها حقيقيّة، لكنّها لم تكن تأخذ دوماً حلولاً مسيحيّة. فعالجت الموضوع على مستوى العلاقات الاجتماعيّة وتَساوي فرص العمل، حتّى وصلت أحياناً لقهر المواهب الطبيعيّة ذاتها. لكن الرؤيا الآبائيّة هي أنّ اللقاء لا يتمّ إلاّ حول الله، أي عند مستوى الإنسان الرّوحاني.

هناك تبقى الفوارق كتنوّعٍ وليس كصراعٍ أو تفوّق. والتنوّع يعزّز الحياة ويساعد على الوحدة. إنّ المسؤوليّة المشتركة والمتساوية أمام الله للرجل وللمرأة تجعل بالمقابل كرامتيهما متساويتين. وهذه الكرامة لا تُقاس بعدُ من الذكورة أو الأنوثة بل من "الرجولة" الروحية، المفتوحة بالتساوي أمام الجنسَين.

---

[١٣] تك ٣، ١٢.

ليست المسألة إيقاف صراع اجتماعيّ، وإنّما رفع كلّ من الرّجل والمرأة إلى الرجولة الروحية والارتقاء بكلّ منهما نحو الله، حيث هناك "لا رجل ولا امرأة... بل الجميع واحد بالمسيح يسوع"[١٤].

إنّ العالم الغربيّ متأثّر بالفكر الأفلاطونيّ والأغوسطينيّ وفكر توما الأكوينيّ، وهو بذلك يختلف عن الفكر الأرثوذكسيّ من حيث منابعه الفكريّة. فلقد اختلف الكاثوليك والبروتستانت (بجميع فئاتهم) حول الحلول في حركات التحرّر النسائيّة (Feminism). واختلفوا خاصة حول تساوي المرأة والرّجل (دينيّاً) أمام الكهنوت. لكنّهم انطلقوا من مبدأ واحد ليصلوا إلى نتيجتَين مختلفتَين متعارضتَين. والفكرة الأساسيّة هي تحديد الخلاف "في الطبيعة"، في الذكورة والأنوثة. ففي حين رفض الكاثوليك الفكرة لأنّ الكهنوت مستمَدّ من المسيح والمسيح جاء ذكراً. وصلت بعض الفئات البروتستانتيّة لاعتبار المسيح مات كأنثى وذكر على الصليب، لأنّه جاء ليخلّص كلّ طبيعتنا. وبرأينا أنّ هاتَين النتيجتَين المتناقضتَين تنطلقان من مبدأ واحد مشترك وخاطئ. فالوحدة والتساوي بالمسيح – وكما يشرحها هنا القديس مكسيموس– لن تتحقّق حين نعادل ونساوي بين طبيعتَي الرّجل والمرأة في الكرامة. ولكن حين نرفعهما خلقيّاً إلى المستوى الرّوحي ذاته. الصورة الفردوسيّة هي "البدايات" لكنّها تعطينا عربون "النهايات" (έσχατα)، فهي الصورة التي يحيا فيها الإنسان بالرّوح القدس رجلاً كان أم امرأة. التنوّع لا يلغي الوحدة. إنّ الفوارق بين المرأة والرّجل جاءت بسبب "الخطيئة" وليس من "الخليقة"، لذلك فهي تُرفع برفعها. إنّ كنيستنا الأرثوذكسيّة تدرس هذا الموضوع من منظور روحيّ وليس من منظورٍ عقائدي، أي من رؤيا أخلاقيّة واجتماعيّة للموضوع.

٢. اتّحاد الفردوس والمسكونة (على مستوى الأرض)

لتوضيح الفكرة، علينا تفهّم معنى "مسكونة" ومعنى "فردوس" لدى القديس. المسكونة هي الأرض المسكونة أي المجتمعات البشريّة. والفردوس لديه هو "حيث يسوع". ويستخدم القديس لتوضيح ذلك عبارة يسوع للصّ اليمين "اليوم تكون **معي في الفردوس**"[١٥]. وهذه العبارة لدى مكسيموس تقابل تماماً التعليم اللاهوتيّ أن يصير العالم كنيسةً وأن تصير الكنيسة كلَّ العالم. فالفردوس هو الحالة المنتظَرة للمسكونة حين تصير البشريّة كلّها جماعة ملكوت الله. لكن عبارة القديس مكسيموس تعتمد على رؤية تعبيريّة كونيّة تخصّ الله وكلّ إنسان، أكثر مما هي ذات لغة دينيّة محدّدة. وهذا يعود لنظرته للعالم والله والإنسان كحقيقة فوق الفواصل التي دخلت فيما بعد (إثنيّة– اجتماعيّة). وهذا الاتّحاد يقوم به الإنسان بواسطة قداسة الحياة (αγιασμός) أي بما نسمّيه طهارة الحياة (κάθαρση)[١٦].

---

[١٤] غلا ٣، ٢٨.

[١٥] لو ٢٣، ٤٣.

[16] "διά της οικίας αγιοπρεπούς αγωγής".

عند هذه الأخلاقيّات لا تعد الأرض مسكناً للصراعات المتعدّدة الأسباب، إنّما فردوساً يحيا الإنسان فيه ويتوسّطه الله بحضوره الحيّ. فالوحدة بين كلّ الفئات والإثنيّات والأديان وكلّ ألوان التجمّعات البشريّة ممكنة، ولكن حصراً بقداسة الحياة. عندما تتقدّس حياة كلّ إنسان وكلّ مجتمع وكلّ قوميّة... عندها لا يعود لهذه الروابط من دواعٍ حتّى ولو بقي بعضها، إذ تصير هذه ألواناً وليس روابطاً.

إنّ الفرق بين المسكونة والفردوس ليس مكانيّاً، وإنّما الفردوس هو المسكونة التي يسكن فيها الإنسان إلى جانب الله. المسكونة دون حضور الله هي ساحة للعداوات، كما ظهر في التاريخ البشريّ. والمسكونة مجتمعة حول الله، الذي جاء ليجمع المتفرّقين إلى واحد، هي ملكوته؛ أي حياةٌ للبشر في المحبّة والهَرمونيّة والتعاون والنمّو.

عرف القديس في زمنه تعدّداً إثنيّاً ودينيّاً... ويجري كلامه عن المسكونة وليس عن الكنائس أو بعض القوميّات التي تخصّ إيمانه مثلاً. إنّ فكر القديس مكسيموس هنا، وكما نوّهنا سابقاً، ينطلق من الحقيقة العميقة للكنيسة كحياة مشتركة بين الله الواحد والإنسان، كلّ إنسان! فهو يستخدم التعابير الكونيّة (οι λόγοι των όντων) والله والإنسان في فكره هما حقيقة وجوديّة لكلّ موجود.

٣. اتّحاد السماء بالأرض (على مستوى المنظورات والحسيات)

عندما يهتمّ العقل البشريّ بحبّه للفضيلة (κατ᾽ αρετήν) عندها تحقّق حياتُه الأرضيّة وحدَها وتُرفع منها تناقضات رهيبة. هكذا يتمّ ردم الهوّة وجمع الوجهتَين المتباعدتَين بين ما هو "ماديّ" وما هو "روحيّ" في الحياة. العديد من البشر ينظرون إلى أمور الحياة أفلاطونيّاً وليس مسيحيّاً. فالجسد هو عكس الرّوح، والغنى عكس المحبّة، والعلمُ نقيض الإيمان، والبذل عكس الوجود، والطعام عكس الصوم، واللذّة عكس الدِّين الخ... هناك فصلٌ رهيبٌ بين "ما هو فوق" و"ما هو تحت"، بين، ما "هنا" وما "هناك". ولكنّ الرؤيا المسيحيّة مغايرةٌ جدّاً لهذه النظرة. فالسماء هي الأرض في صورتها الحقيقيّة المطلوبة. الغنى هو أداة المحبّة، واللّذة الحقيقيّة هي في الرّوح. إنّ المال أداة روحانيّة رائعة. والصوم هو كرامة الطعام. "الروحانية" ليست غيابَ المادة إنّما هي حضور الله فيها. "المادية" ليست أمورَ الدنيا ولكنّها فلسفة غياب الله من استخدام المادّة. علينا إذاً أن ننظر للأرض كسماء وأن نضع غايةً للتاريخ ورؤيا روحيّة للدنيا ألا وهي تقديس الزمن والمكان. القداسة ليست خارج المادّة ولا فوقها، إنّما هي طريقة استخدامها وغايتها. تخسر المادّة قيمتها خارج القداسة. والأرض إن لم تصرْ سماءً تُسرق من الإنسان أو تضيع بسببه. إنّ هذه الفضيلة تسمّى "فهم" (νόηση).

٤. اتّحاد المنظورات بغير المنظورات

إنّ العقل – الذهن (νους) عند الإنسان هو العنصر المشترك بينه وبين العالم غير المنظور. هذا الاتّحاد لا يعني خلع البشرة عن الإنسان ولا بالوقت ذاته رميها على الكائنات اللامتجسّدة، إلاّ أنّه اتّحاد قائم على حياة الرّوح المشتركة والمتشابهة "بقدر ما هذا مستطاع لدى الإنسان". الفضيلة التي يمكن أن تكون مشتركة بين الإنسان والملائكة، بفضل الإمكانيّات العقليّة البشريّة، هي فضيلة "المعرفة" أي معرفة الله (θεογνωσία)، التي صورتها الحقيقيّة هي الحكمة (Σοφία).

إنّ الحقيقة الشخصانيّة للإنسان، بما يملك من قدرات روحيّة تجعله قادراً على تحقيق هذه "الاتّحادات" لأنّها ليست انصهارات طبيعيّة لطبائع مختلفة، ولكنها توافق أخلاقيّ يحقّق اتّحاد اثنَين إلى كيانٍ واحدٍ وحياةٍ واحدة. إنّها "توافق" (σύμβασις) و(ομοφυΐα) يتجاوز الفواصل والاختلافات. إنّ الإنسان كائن يحمل صفات وقوى مشتركة مع العالم غير المنظور تجعل هذا الاتّفاق والتوافق ممكناً، وتقود بواسطته إلى اتّحاد المختلفات. لقد عَرف الرسم الأرثوذكسيّ ضمَّ الأجنحة (الملائكيّة) إلى أيقونات البشر، فالمعمدان (السابق للمسيح) يُرسم بأجنحة الحياة الملائكيّة والتبشيريّة. والنبيّ إيليّا يُسمّى في الترانيم "الملاك بالجسم"[١٧]. وترسم الأيقونة الأرثوذكسيّة الملائكة مع البشر القديسين في المعبد. كما ترسم الليتورجيا السماويّة الحاصلة بشكل غير منظور والمتزامنة مع الليتورجيا الأرضيّة الحاصلة بأيدي البشر بشكلها المنظور. ويسمّي الأدب الآبائيّ مثلاً، الحياة الرهبانيّة حياة ملائكيّة. وبولس يعلن أنّ القديسين سيدينون الملائكة. فإذا كانت حربنا ليست مع لحمٍ ودمٍ بل مع أرواح الشرّ التي في الجوّ فإنّ هذه الحرب أيضاً بالوقت ذاته، هي اتّحاد مع أرواح الخير التي في الجوّ، إن صحّ التعبير. ولا تغيب في صلواتنا الخطابات والحوادث مع الملائكة وخاصة مع الملاك الحارس. إنّهم جزء في كنيستنا ولكن غير المنظورة. في الكنيسة يجمع الرّوح القدس بين الملائكة والبشر.

٥. اتّحاد المخلوق بغير المخلوق

على الرغم من أنّ الفارق هنا بين الطبيعتَين المخلوقة وغير المخلوقة هو الفارق الأضخم بين الفئات السابقة كلّها، إلاّ أنّ هذا الاتّحاد أيضاً ممكن، وأداته ليست هي فضيلة الإنسان، كالحكمة والفهم وطهارة الحياة، إنّما فقط محبّة الله. لأنّ هذه الوحدة هي نعمةٌ وليست إنجازاً بشريّاً. وهذا الاتّحاد يعني أنّ الإنسان يصير بالنعمة (χάριτι) كما الله بالطبيعة (φύσει)[١٨].

إنّ ما فشل به الإنسان (تحقيق غايته في الخلق) حققه الربّ يسوع، ولكن هنا أقنوميّاً. لذلك يعتبر أنّ يسوع أصلح (ανακεφαλαίωσε) كلَّ شيء به كُوِّن[١٩].

---

[١٧] طروبارية النبي الياس، ٢٠ تموز.

[18] "και γενόμενος παν ει τι εστίν ο Θεός, χωρίς της κατ'ουσίαν ταυτότητος".

[١٩] يو ١، ١٠.

لقد تجسّد الكلمة وصار الإله إنساناً، وإنساناً تامّاً مثلنا ما عدا الخطيئة. وولادته من عذراء كانت بداية تجديد في الخليقة، كطريقة ولادة كانت فقط قبل السقوط (دون زواج)، وبذلك استطاع يسوع أن يحقّق هذه المشاريع الخمسة (الغايات من الخلق) وبشكلها المثاليّ.

بولادة المسيح اتّحد **المخلوق بغير المخلوق**، ووحّد العالم **المنظور بغير المنظور**، قدّس العالم فوحّد **الأرض بالسماء**، وجمع المتفرّقين فوحّد **الأرض بالفردوس**. وبما أنّه الصورة التي يجب أن تكون عليها المرأة كما الرّجل، وخاصة بعد صعوده وقيامته، حمل الجسد غير الفاني الذي سيوهَب لجميع البشر، وبذلك ساوى ووحّد بين الجنسَين.

هكذا المسيح هو حكمة الله (σοφία) وفهمه (νόησις)، به يتمّ اتّحاد كلّ العوالم، فيتّحد العالم المنظور بغير المنظور بالحكمة، والسماء بالأرض بالكلمة والفهم، والمسكونة بالفردوس بطهارة الحياة، والذكر بالأنثى بالصورة التي لهما فيه، والله بالإنسان. يسوع بشخصه يوحّد بشكل خاصّ العوالم كلّها[20].

III. الوحدة الكنسيّة

لا يتطرّق القديس مكسيموس في المرجعَين المذكورَين إلى الوحدة الكنسيّة بين المسيحيّين خاصّة، إلاّ أنّه كان من أبطال المدافعين عن الحقيقة من أجل الكنيسة الواحدة المسكونيّة ووحدتها.

ولما كنّا في إطار اجتماع مسيحيّ، أودّ هنا أن أشير، ولو بسرعة، إلى فكرة القديس مكسيموس عن الوحدة. كما أنّ العالم لا يكون حقيقيّاً إلاّ حول الله ولا يكون واحداً إلاّ حول الله. وكما أنّ الوحدة بين العرى المنفصلة تعني بالوقت ذاته اتّحاد كلّ تلك الأطراف بالله لتتّحد فيه فيما بينها، كذلك فإنّ وحدة المسيحيّين تصير عند "الأرثوذكسيّة" مع ما تعنيه هذه الكلمة من حقيقة الإيمان وليس التسمية الطائفية. لذلك فإنّ "الكاثوليكيّة" لا تتحقّق دون "الأرثوذكسيّة"، أي أنّ الكنيسة هي الواحدة، والكاثوليكيّة بحيث تملك كامل الحقيقة ولا ينقص فيها من حقيقة الإيمان شيء. شهير عنه عندما أبلغه الآخرون قانون اعتراف الإيمان الجديد (τόμος)، وأنّ كلّ الأساقفة قد وقّعوه وقبلوه آنذاك جميعهم بصيغة خاطئة، عندها أجاب مكسيموس "أنا الكنيسة الجامعة الرسوليّة". فالكنيسة هي بيسوع وليست بالعدد. قوّة الكنيسة هي الحقيقة وليست معايير من هذه الدنيا تعادل في توازناتٍ بين طائفةٍ وأخرى. والحقيقة لتقليدنا الأرثوذكسيّ ليست المعتقد، بل طريقة الحياة، صِغْنا عنها كلمات تصف طريقتها الحقيقيّة – الأرثوذكسية، أنّها "الطريق – الحقّ"، الذي يبني "الحياة" الحقيقيّة الكاملة بالرّوح مع الله. يتشابه هنا رأي القديس مع المثل الذي يعطيه القديس دوروثاوس، حين يشبّه البشر بنقاط الدائرة، والله بالمركز. فكلّما ابتعدت النقاط عن المركز كلّما تفكّكت بين بعضها، وكلّما اتّجهت كلّ نقطة إلى المركز كلّما التقت واقتربت من النقاط الأخرى. إنّ الشركة مع الله هي التي تجمع

[20] "καταλύων πόλεμον, και προς ειρηνικήν φιλίαν τα πάντα και αδιαίρετον συνδέων ομόνοια".

البشر عموماً. والاتّحاد في يسوع هو الذي يحقّق وحدتنا. الوحدة الكنسيّة لا يمكن أن تكون اتّحاداً فدراليّاً يحافظ كلّ أعضائه على ما لديهم. الوحدة الكنسيّة ليست "تعاونيّة" مسيحيّة.

لذلك بالنسبة للقديس مكسيموس لم تكن مسألة "الإرادة الواحدة" للمسيح أو الإرادتَين مسألةً عقائديّة وحسب، كما تُستخدم الكلمة اليوم، بل كانت تعني له أن تستطيع إرادتنا أو لا تستطيع أن تأخذ ما كان للمسيح. لو كان المسيحُ ذا إرادةٍ واحدةٍ إلهيّة قد ابتلعت الإنسانيّة لما استطعنا بإرادتنا أن نكون مثله، ولكانت إرادتُنا عاجزةً عن غاية الحياة وهي "مثالُه"، والتألّه. ولكن يمكن للإرادتين الإلهيّة والإنسانيّة أن تتّحدا وتصيرا واحدة، دون أن تلغي الواحدة وجود الأخرى، أي أن تتّفقا. فإنّ ما حصل مع يسوع يمكنه أن يحصل معنا – أن تتّفق إرادتنا مع الإرادة الإلهيّة – حين نريد ونجاهد من أجل ذلك.

إن اتّحاداً بين الكنائس خارج الحقيقة يعني للقدّيس مكسيموس ضياع الكنيسة. تتحقق الكنيسةُ الجامعة الواحدة الرسوليّة والمقدّسة حين تلتقي كلُّ الكنائس بيسوع "الحقيقة". يمكن لكلّ الكنائس أن تتعاون فيما بينها، وحتّى مع الأديان الأخرى، وأن يكون لها إدارة مشتركة وعملٌ مشتركٌ رعوي، وكلّ هذا مبارك لكنّه ليس "الوحدة".

"الاتّحاد" كما رأيناه عند القديس مكسيموس مبنيّ على أنّ "الرّوح واحد" بين الرّجل والمرأة، العبد والحرّ، الإنسان والملائكة، الإنسان والإنسان، وأيضاً بين الكنيسة والكنيسة.

خاتمة

هذه هي الكنيسة، إنّها استمرارٌ لعمل المسيح على الأرض. إنّها الخميرة التي يجب أن تخمّر العجين كلّه. إنّها الملح الذي يجب أن يُعطي للعالم طعمه الواحد في وحدته الإنسانيّة الروحية حول الله.

"**الرجولة الروحية**" (ανδρεία) ستوحّد الرّجل بالمرأة وتلغي أهميّة الفوارق الطبيعيّة فتجعلها مواهبَ وليس تمايزات في المسؤوليّة. وكذلك على صعيد كلّ الفوارق القوميّة والطبقيّة. ألم يقل بولس للعبيد: أآمنتَ بالمسيح فأنت حرٌّ؟[٢١]، ألم يقل للمرأة: تخلّصين الرّجل؟[٢٢] كلّ هذه الفوارق هي "خدع" بشريّة أدخلها اضطراب العالم نتيجة الخطيئة. ولا ترفعها إلاّ حقيقة العبادة والحياة "بالرّوح والحقّ".

"**طهارة الحياة**" (αγιασμός-κάθαρσις) تجعل المسكونة فردوساً وتجعل العالم كلّه في سلامٍ يتوسّطه ويثبّته حضورُ الله، سلام لا يقبل بالحروب والصراعات البشريّة التي تحرّكها شريعة الغاب وليس صورة الفردوس. هذه "الصورة" الفردوسيّة يجب أن تكون روح الأنظمة الدوليّة والعلوم الإنسانيّة. فالقيم الإنسانيّة المشتركة بين البشر هي الحقيقيّة. أما الميزات الأخرى العرقيّة والإثنيّة... حتّى الدِّينية هي فرادات للحوار

[٢١] انظر ١كور ٧، ٢١-٢٣.

[٢٢] ١كور ٧، ١٦.

والترابط وليست دواعٍ للشقاق. كلّ رابطٍ هو مقدّسٌ، لكنّه يفقد قدسيّته حين يسير الناس باتّجاه الجزء وليس باتجاه الكلّ، أو حين يسيرون باتجاه الكلّ ولكنهم يغيّبون الله من الوسط ويضعون مكانه أفكار البشر والنظم فيخضع الناس لعبوديّة النواميس بدل حريّة أبناء الله بالرّوح.

"**الفهم**" (νόησις) هو رسالة الكنيسة التي يجب أن تنفخَها في كلّ العلوم الإنسانيّة، بحيث تصير هذه الأخيرة بدلَ معضلات فكريّة إجابات وجوديّة حقيقيّة تتناسب فعلاً والحاجات البشريّة، وفق الرؤيا الأنثروبولوجيّة المسيحيّة للإنسان. إنّ "الفهم" هو روح العلوم، الفكر الذي يجب أن يكون في كلّ الأفكار. وهذا الفكر هو خلاص الإنسان، سعادته.

إنّ الإنسان هو غاية العلوم التي يجب أن تجعل حياته متحرّرةً قدر الإمكان من ثِقَل المادّة ومظاهر الألم والأمراض التي لطالما هامت الفلسفات من أجل التحرّر منها حتّى صار الموت خلاص الفيلسوف. إنّ العقل البشريّ بموهبة فهمه يجب أن يعمل بشرطَين، الأوّل هو التحسين والثاني هو التأليه. دون ذلك يتضارب الإبداع مع التطوّر ويتصارع العلم مع الدِّين، وتتحدّى التبدّلاتُ الأعرافَ، حتّى والصالح منها. هكذا يخلق العقل البشريّ مجتمعات شبه سماويّة وبشراً أشبه بملائكة، وتصير المادّة روحيّةً ويحرّك الرّوح كلَّ مادّة.

و"**الحكمة**" (Σοφία)، كما يقول الكتاب هي مخافة الله[٢٣]. فالحياة البشريّة لا تؤمَّن بكفالة الفهم البشريّ، وإنّما بالفهم الإلهي. لا معنى للعالم حتّى ولو كان مجتمعاً مثاليّاً وهذه هي العلمنة، أي توحيد العالم بأبعاد عالميّة فقط. إنّ علمنة المسيحيّة تتمّ حين يفسّر الفهم فقط بالعقل. بينما، مسيحيّاً، يجب أن يقود الفهم إلى الحكمة. أي إنّ المعارف والعلوم والتقدّم الحضاريّ يجب أن تسير نحو حضارة الرّوح، التي تقدّس الزمان والمكان فتجعل الأرض ملكوتاً، وتحضّر الإنسان لسكب الرّوح وفيضه، إنّها تقود الزمان "لآخر الأزمنة" التي تكلّم عنها يوئيل النبيّ حين يفيض روح الله ويتنبّأ الشباب والشابّات... وكلّ لحم يصير روحيّاً وتلبس العظام لحماً وتتحرك[٢٤].

"**المحبّة**" الإلهيّة سوف تَسكب على الحكمة البشريّة ألوهتها، فعندما تُلغى صور الألم والنـــزاعات الإنسانيّة بالرجولة الروحية، وتصير البشريّة عائلةً إنسانيّة بالطهارة، ويقود العقلُ بالفهم الإنسانيّةَ إلى الحكمة ومعرفة الله، حينها تصير الحياة "محبّةً"، محبّةً من الله تظلّل محبّة الواحد للآخر. والمحبّة هي السعادة والسعادة هي الحياة. لقد جاء يسوع لهذا العالم الواحد ولهذه المحبّة الوحيدة، التي لا تكوّنها رغباتٌ من الدنيا بل نعمة الله التي تجعل الإنسانَ كائناً متواضعاً مصلّياً عاملاً فاتحاً ذراعَي قلبه لهبوب الرّوح القدس، ناظراً للعالم في كونيّته ووحدته، دائساً شوكة الخطيئة التي تقسم الكون في داخله. إنّه "ابن الله" الحرّ، يفهم الكنيسة على أنها عِشرةٌ بين الله والإنسان، وليست مجرّد طائفيّةٍ. هذه الكنيسة ليست الطائفة ولا الدِّين ولا المنظّمة، إنّها "ليتورجيا

---

[٢٣] أم ٩، ١٠.

[٢٤] انظر حز ٣٧، ٦.

كونيّة" يعمل فيها الله بروحه القدّوس ويتعامل مع الإنسان الحرّ كائناً مَن كان فيناديه الحبّ الإلهيّ إلى الله، ويرتفع الكائن الإنسانيّ المجروح بالعشق الإلهي ليُمحور حياته حول مصدرها الأصليّ والحقيقيّ، هذا هو الإنسان الرّوحاني الذي ينشده الكتاب لكلّ إنسان. عند هذا الإنسان تأتي كلّ المتفرّقات إلى اتّحاد، حتّى المخلوق بغير المخلوق ولكن بالنعمة.